0 me Année No. 465

Lundi 1 - 6 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة العاشرة « القاهرة فى يوم الإثنين ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ — الموافق أول يونية سنة ١٩٤٢ » العـــدد ٤٦٥

الفهرس

صفحة

٥٧٣ صـداقات الأدباء ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد

٥٧٦ الخطاب الذى احترق بسعير الأنفاس . . .. : « الكاتب المجهول » ...

٥٧٨ الحديث ذوشجون . . . . : الدكتور زكى مبارك .. ...

٥٧٩ رسالة الطالب ... . : الأستاذ سعيد الأفغانى ...

٥٨١ ابن باجه . . . .. : الأستاذ عمر الدسوقى . .

٥٨٤ السيدة عائشة عصمت تيمور : الأستاذ إسحق شموش . .

٥٨٧ المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم ... ... : المستشرق « إدورد وليم لين » بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور

٥٩٠ نعمة السلم [قصيدة] : الأستاذ عبد اللطيف النشار

٥٩٠ سلميون ومحاربون « : الأستاذ حسين الظريفى ...

٥٩١ مذهب الشك قبل ديكارت : الأستاذ محمد خليفة التونسى

٥٩٢ من محام شرعى . . . . إلى قاض شرعى : الأستاذ داود حمدان ...

صداقات الأدباء

للأستاذ عباس محمود العقاد

لو تكلم القدر لأسمعنا العجب من ظلم الناس ، وهم يحسبون أنهم المظلومون لأنهم يطلبون ولا يجابون ، ولا يسألون أنفسهم مرة لماذا يحال بينهم وبين ما يطلبون !

فربما طلبوا ما لا يكون ، وربما طلبوا شيئاً وهم يريدون غيره بل يريدون نقيضه ، وربما طلبوا الشيء وتوسلوا إليه بغير وسيلته ، ثم يعرفون خطأهم فلا يطلبونه بعد ذلك بوسيلته المثلى

والأستاذ توفيق الحكيم أراد الصفاء بين جميع الأدباء ؛ فهل أراد شيئاً يكون فى هذه الدنيا ؟ وهل أراده حقاً ؟ وهل توسل إليه بالوسيلة المثلى ؟

إن ثلاث « لاءات » مفخمات غير أصدق جواب على هذه الأسئلة الثلاث

فالصفاء بين جميع الأدباء معناه الصفاء بين جميع الناس ، وليس هذا بميسور ولا هو بلازم للأدب ولا للأدباء

فلماذا تصفو العلاقات بين جميع الأدباء وهى لا تصفو بين جميع الآدميين ؟ إن الصفاء قد يتحقق بين طبيب ومهندس ولا يتحقق بين مهندسين أو طبيبين . وقد يتاح لرهط من الأدباء كما يتاح لرهط من أبناء الصناعات المختلفة ، ولكنه لن يتاح لجميع الأدباء في وقت واحد ، ولن يتاح لجميع الناس من صناعات

شتى ولا صناعات متفقة . وليس تخصيص الأدباء هنا بالمطلب المفهوم إلا إذا عممنا الطلِبة للأدباء وغير الأدباء ، ورفعنا الكدر من جميع الأحياء . وهذا ما ليس بكائن ، ولا نراه مما يكون

فالأستاذ توفيق الحكيم هنا لم يطلب شيئاً يجاب

ولكننا نعود فنسأل : هل طلبه حقاً ؟ وهل اجتهد فى تحقيقه فتوسل إليه بوسيلته المثلى ؟

إن الذى يطلب الصفاء لا يبحث عن أسباب الكدر بملقاط ليخلقها خلقاً بين رجلين على أحسن ما يكون من الصفاء ؛ بل هو يمحو منها ما وجد إن كان له أثر محسوس ، ولا يوجد منها ما ليس له وجود ولم يحسه أحد ولا توهمه ، ولا وقع فى ظن من الظنون

فماذا صنع الأستاذ توفيق الحكيم ؟

حمل ملقاطه ووضع مجهره على أنفه وراح ينبش ما بين السطور وأطال النبش بينها ليصيح بعد ذلك : وجدتها ! وجدتها ! ... هنا سبب من أسباب الكدر كامن بين السطور لعله لا يظهر على وجه الكلام ولكنه مستور هنالك لمن يبحث عنه ويجرى وراءه ، وهو لهجة تعالٍ فى الشكر ، أو لهجة يخيل إلى من شاء التخيل أنها تشف عن التعالى ولا تبرئ الشكر من الجفاء

ثم يصيح برجلين يفهمان ما يقولان وما يقال لهما : أرأيتما ؟ أليس خليقاً بكما ألا تصفوا ؟ أيليق بكما أن تصفوا وبينكما هذا الذى أراه مانعاً للصفاء !

ذلك ما صنعه الأستاذ توفيق الحكيم

فهل فى وصفه مبالغة ؟ وهل صورناه بغير صورته القريبة التى تعرض نفسها لكل من ينظر إليها ؟

أهدى إلىّ الدكتور طه حسين قصته « دعاء الكروان » فجعلت هذا الإهداء موضوع مقال من أعماق النفس فى معنى الكروان ودعاء الكروان وذكريات الكروان ، وقرأه كثيرون من الأدباء ، فحدثونى عنه حديث رضى وسرور ، وفى مقدمتهم الدكتور طه مهدى دعاء الكروان

أما الأستاذ توفيق الحكيم فماذا صنع ؟

لم يرضه ما أرضى الدكتور طه ولا ما أرضى الأدباء ولا ما أرضى كثرة القراء ، وراح يتحدث ويكتب ليقول : هنا صفاء ... فكيف بالله يليق هذا الصفاء ؟

لو كان الأستاذ توفيق الحكيم يطلب الصفاء ويتوسل إليه بوسيلته المثلى لكانت له ندحة مما صنع ولو لم أكتب ذلك المقال عن دعاء الكروان .

نعم كان فى وسعه أن يقول بينه وبين نفسه : لعل واجب الشكر قد أُدى فى رسالة أو فى مقابلة ، أو سيؤدَّى فى سانحة أدبية يأتى أوانها فى حينها ، أو لعلى أعرف الحقيقة إذا عنيت بالسؤال عنها عند أهلها .

هذا ما كان فى وسع طالب الصفاء أن يصنعه ولو لم أكتب مقالى فى « دعاء الكروان »

ولكن الأستاذ الحكيم لم يصنعه ، ولم يزل يحمل ملقاطه ويضع مجهره على أنفه ، ليخلق الكدر من شىء يبحث عنه بين السطور ، ولا يراه على ظاهر السطور

أهذا هو طلب الصفاء والسعى إليه ؟

فماذا يكون السعى إلى خلق الكدر والإشفاق من دوام الصفاء ؟

* * *

كانت المناقشة بين الأستاذين زكى مبارك وتوفيق الحكيم قائمة يوم لقيت الأستاذ توفيقاً فى إحدى المكتبات وفيها صديقنا الأستاذ على أدهم . فجرى ذكر تلك المناقشة وصارحت الحكيم فيما أراه فقلت له : إنك لم تبحث عن أسباب الإنصاف بعض بحثك عن أسباب الجفاء ؛ لأنى لا أعرف ولا أذكر أننى قصرت فى حق زميل إبان اشتغالى بالصحافة وتولىّ فيها صفحةً للأدب ودراسة المصنفات . فكل أديب أرسل إلىّ كتاباً فى هذه الأثناء فقد نوهت به وكتبت عنه ، ولكننى أنا أرسلت كتباً إلى زملاء يعرضون للمصنفات فى المجلات فلم يذكروها ولم يشيروا إلى صدورها . فلماذا نسيت هذا وحاسبتنى على ما تقول إنه شكرٌ لم يبلغ ما تتخيله من الرقة والنعومة ؟ لماذا تحاسب من يكتب ولا تحاسب من يهمل ؟ ما الذى يعفى أولئك الزملاء من عرفان حق ، ويوجب علىّ أنا أن أبلغ الغاية التى يتخيلها كل متخيل من عرفان الحقوق ؟

وتكلم الأستاذ الحكيم عن أولئك الزملاء فقلت له : إننى لا أفردهم بالملاحظة ولا أستثنيك أنت منها . فقد كتبت عنك مرتين أو ثلاثاً فكم مرة كتبت عنى ؟ وما الذى يعفيك من هذا

الواجب الذى لا أذكرك به إلا لمناقشة رأيك لا لأنى أطلبه أو أحتاج إليه ؟

ثم بينت له موقفى من تقريظات العظماء الذين يثنون على كتبى فأشكر لهم ثناءهم ولا أنشره فيما أطبعه من كتبى ، وإن كان فى نشره فخر أعتز به كما يعتز به سائر المؤلفين

بينت له ذلك لكى لا يقع فى روعه أننى أطالبه بواجب الكتابة أو أتقاضاه حقاً من الحقوق . فلو أردت ذلك لعمدت من قبل فى عشرات السنين الماضية إلى نشر الكتابات التى وصلت إلى يدىّ وهى مما يسمح بنشره فى جميع البلدان

ثم افترقنا ولم أسمع من الأستاذ الحكيم فى تلك المقابلة ما يذهب بدهشتى من سعيه إلى الصفاء بذلك الأسلوب ، ومن محاسبته إياى على الوهم بين السطور وهو يرى أناساً يسهون كل السهو عن حق الأدب وحق الزمالة ، فيغضى عن الحقيقة الماثلة ، وينسى السطور وما بين السطور

وفارقنى تلك الليلة ولا أدرى ما فى نفسه ،

ولعله كما علمت بعد أيام قد تبين صواباً فيما قلت أو فى بعض ما قلت فعدل إليه وكتب مقاله المشكور عن كتابى « عبقرية محمد » فقدمه بكلمات يقول فيها : « وقد سمحت لنفسى بالسبق إلى أداء هذه التحية ، لأنى فطنت إلى أنى المتخلف دون غيرى عن أداء الواجبات ، وليس لى من عذر إلا انصرافى عن باب النقد منذ أول الأمر » .

وهو موقف بار أحمده له كل الحمد وأعتقد أنه قد حُسب له عند القراء كما حسب له عندى فى عداد الخلائق المرضية والفضائل الخلقية . ثم وجه إلىّ بعد أيام أخرى خطاباً يقول فيه :

« إنك للمرة الأولى تخاطبنى بهذه اللهجة التى كنت تخاطب بها الرافعى رحمه الله . أبهذه السرعة تضع النـاس فى صف أعدائك ؟ لعلك لفرط ما قاسيت من شر الناس ، ولقلة ما وجدت من خيرهم ، أصبحت مثل « هملت » تستل سيفك لتضرب من خلف الأستار دون تبين الوجوه . فطعنت صديقاً وأنت لا تدرى »

ولا أظن أننى أشبه «هملت» فى كثير من خصاله وفعاله ؛ ولكنى إذا سئلت لم صنعت صنيع « هملت » ؟ أفلا يجوز لى أن أسأل : ولم الوقوف وراء الأستار ، وأولى من ذلك الخروج إلى وضح النهار ؟ أليس هنالك بعض اللوم على من ينصت خلف الستر ليسمع ما لا يُسمع ، أو ليقول ما لا يقال ؟ !

* * *

وبعد ، فما العبرة من كل أولئك فى تاريخ الأدب ونقده وسلوك الأدباء مشهورين كانوا أو غير مشهورين ؟

العبرة من أولئك « أولاً » أن الأستاذ الحكيم يقول بعد الإشارة إلى ثناء الدكتور طه عليه منذ سنوات : « ... لم نسمع فى غير مصر أن الناقد إذا أثنى على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الحضيض ، وأن على المؤلف واجباً مقدساً هو أن يشترى من فوره سبحة كيلا ينسى أن يسبح بحمد الناقد آناء الليل وأطراف النهار ... »

كذلك يقول الأستاذ الحكيم اليوم . فليذكر مقاله الأدباء الناشئون الذين يؤمنون بكفاءة تشبه كفاءته الفنية ، ليذكروا أنهم يطلبون شيئاً ينكرونه جاهدين بعد بضع سنوات : يطلبون التشجيع ثم ينكرون التشجيع ، وكان أحرى بهم ألا يطلبوه وألا ينكروه ، فما سمعنا فى غير مصر أن الأدباء المشهورين مسئولون عن شهرة كل أديب ينشأ بعدهم ولا يعرف لهم حقهم ، وإلا كانوا هم الملومين المقصرين

وعبرة أخرى أن الأستاذ الحكيم يذكر التعالى فى موقف الكاتب وينسى أنه اختار لأدبه عنوان « البرج العاجى » وهو عنوان الأدب المصطلح على وصفه بالتعالى بين نقاد الغرب وشعرائه . فليترك برجه العاجى إذن أو فليتركنا نحن نتعالى ونتواضع كما نشاء

وعبرة ثالثة أن الأستاذ يحن إلى صداقات فى الأدب المصرى كالصداقات التى أثرت عن كبار الأدباء الغربيين

وأن أناساً لتأخذهم السمعة البعيدة فى زمانها أو البعيدة فى مكانها فليلحقوها بعالم الخيال وعالم المثال ويسهون عن الواقع الذى لا يقبل المحال

وأعيذ الأستاذ أن يكون من هؤلاء

فتاريخ الآداب الأوربية بين يديه يستطيع أن يرجع فى كل ساعة إليه ، ويستطيع أن يعلم بعد المراجعة أن فى الأدب العربى حديثه وقديمه صداقات تضارع تلك الصداقات مع حسبان الفارق فى البيئة والزمن والمناسبة

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

فهل يعني الأستاذ صداقة شعراء البحيرة في انجلترا؟ هل يعني صداقة شلي وبيرون هناك؟ هل يعني صداقة جيتي وشلر بين شعراء الألمـان؟ هل يعني صداقة تولستوي وتورجنيف وديستفسكي بين عظماء الأدب العالميين من الروسيين؟

إن كان يعني هؤلاء وأمثال هؤلاء فهو واجدٌ في الأدب العربي الحديث صداقات من طراز تلك الصداقات، وواجدٌ من هناتهم في الغرب نظائر لما يشكوه من هنات الزملاء المصريين والشرقيين والطبيعة البشرية واحدة في كل مكان ... تلك أصدق حكمة عن الناس قالها إنسان.

عباس محمود العقاد

الخطاب الذي احترق

بسعير الانفاس

« للكاتب المجهـول »

هو خطاب تلقيته من « فلانة » في سنة ١٩١٩

فما صبرُ القلب على غرام مشبوب يدوم ثلاثة وعشرين عاماً هي كألف سنة ممـا تعدّون؟ ما صبر القلب على « فلانة » وفي مثلها قال المجنون:

وشاب بنو ليلى وشبّ بنو ابنها   وأعلاق ليلى باقياتٌ كما هيا

كان الدهر سمح في غفلة من غفلاته بأن ألقاها بعد طول الفراق، ثم استيقظ الدهر فعرفت ما لم أكن أعرف، عرفت أني لن ألقاها بعد ذلك ولو انتظرت إلى أن تشيب ناصية الزمان

فمن يبيعني مثقالاً من الصبر الجميل عسانى أتناسى أحزاني وأشجاني؟

وهل يباع الصبر في هذه البلاد؟

وهل ترك الاتجار فيها بمـا تحدث عنه القرآن من عدس وبصل وفول مجالاً للاتجار بالصبر الجميل؟

خذوا أملاكي وخذوا حياتي في سبيل لحظة واحدة أقضيها في حضرة « فلانة » لأجدد التوبة من ذنوبي، ولأجدد العهد، إن كانت ترتاب فيما بيني وبينها من عهد

أكان ذلك اليوم آخر أيامي؟

أفي الحق أني لن ألقاها بعد الوشاية اللئيمة التي نفرتْها مني؟ دنيا من الأحلام تقوّضت في لحظة أو بعض لحظة بفضل كلمة نقلها أو اختلقها نمامٌ أثيم، فما ذنبي ولم أقل في « فلانة » غير الصدق؟

ما ذنبي ولم أقل إلا أنها كانت على تطاول الأيام أحب إلى قلبي من سائر عرائس الشعر والخيال؟

ما ذنبي ولم أوجه إليها في حياتي كلمة واحدة تجرح الذوق؟

إنما الذنب ذنب من ائتمنته فخان، وكنت أحسبه أهلاً لتلقي سرائر الروح الحزين، وهل كنت أول عاشق خدعه الواشون والرقباء؟

الله يعلم كيف انخدعت، فقد حسبت أن طهارة القلب تُعدى، وظننتُ لجهلي أن في الدنيا ناساً يتذوقون أخبار الحب العفيف، ولم أكن أدري أني أكتب لنفسي صحيفة الاتهام وأنا بريء، وكم في السجن من أبرياء!

لن أرى ذلك الوجه الأصبح بعد اليوم لأن صاحبته لا تريد أن تراني

وكيف أراها وهي تصدر أمرها المطاع بأن أرد إليها الخطاب الوحيد الذي طلّت به قلبي سنة ١٩١٩؟

ومن يصدق يا فلانة أننا كنا رفيقين في ذلك التاريخ؟

هو خطاب أحرقته أنفاس الوجد ولم يبق منه غير أطياف، فما حرصك عليه وهو خيال في خيال؟

سأردّ ذلك الخطاب بلا تسويف

لا، لا، لن أردّ ذلك الخطاب ولو قُطّعت أوصالي، فهو الوثيقة الباقية على أنك كنت رفيقة صباي، يا مثال الشرف والطهر والعفاف

سيوضع ذلك الخطاب في كفني يوم أموت، فانبشي قبري وخذيه إن عرفت طعم الحياة بعد موتي، يا قريبة العذول الذي أفسد ما بينك وبيني، وهي أول مرة عرفت فيها عن تجربة أن الدخان القريب يُعمي العيون

لو كنت فاجراً لعرفت ذنبي واسترحت

وهل يكون الفجور أشنع مما وقعت فيه؟

أنا أسلمت زمام أسراري لمخلوق توهمته يدرك شرف الحب، فكان منه ما كان، فمن يصلح ما بيننا وقد ضاق في وجهي صدرك الرحب، وتملك الغضب إلى الوقوف في صف الزمان

أنا حزين، حزين، حزين

وما أحزن على نفسي، فقد شبعت من الزمان وشبع مني،

ولم يبق لى ما أخاف عليه بعد أن عانيت فى دهرى ما عانيت ، وإنما أحزن لارتيابك فى أمانتى ، وعنك تلقيت دروس الأمانة والصدق والوفاء

فإن فقدت عطفك فقداً أبدياً فقد خسرت بجانبه مودة ذلك العذول ، وكنت أحسبه أشرف الناس ، وهو لك قريب ، وظلم ذوى القربى أشد من وقع الحراز المسنون كما قال بعض القدماء

الوداع ، يا رفيقة صباى ، وداع الزهر الظامئ لقطرات الغيث ... أما الخطاب فقد أحرقته أنفاسى ، وأما العذول فسيحل عليه غضب الله ولعنة الحب ، ولن يلقى فى دهره غير الشتات ، وسيكون هو وأهله ومن يحيط به طعاماً لنيران الوشايات والأباطيل

الوداع ، يا رفيقة صباى ، وداع الطفل لأمه الرءوم ، وداع الموجة المتكسرة على الشاطئ الأمين ، وداع الوليد للحياة وقد أعجله الموت فى يوم الميلاد ! !

لقيتك بعد يأس ، يا رفيقة صباى ، فكاد يقتلنى الجنون ...

فما الذى سيجنى الواشى وقد أفسد ما بينك وبينى بكلمة أقصر من ومضة البرق وأطول من كيد الزمان ؟

ومن أعجب العجب أن يكون ذلك الواشى أنضر من طلعة الصباح فى عين الشريد الذى طال شقاؤه بظلمات الليل

فما معنى ذلك ؟

هو الحية الملساء التى تسربت إلى رياض الفردوس لفتنة أبينا « آدم » وأمنا « حواء »

هو السم المدوف فى طيات « البرشام » الملفوف

هو العذول الذى استعاذ من شره أقطاب الصبابة والوجد والحنين

لن أراك ، يا رفيقة صباى ، بعد اليوم ، لأن قلبك أرق من أن يحتمل فظاظة الأراجيف ، ولأن لك زوجاً يؤذيه أن يكون لزوجته فى العشق تاريخ

الوداع ، وداع القلب الخائف لأطياف الأمان

الوداع ، وداع الجسد للروح

الوداع ، وداع الشاعر لديوان من أشعار الوجدان أكلته النار فى يوم عاصف

الوداع ، وداع المحب للمحبوب على غير أمل فى اللقاء

الوداع ، وداع المحكوم عليه بفراق الأهل إلى أن يموت فى غيابات السجون

لن نلتقى بعد اليوم ، يا رفيقة صباى ، إلا فى الفردوس

وأين أنا من الفردوس ؟

وهل لمن باح بأسرار الحب أمل فى الجنة والرضوان ؟

زعم الإنسان أنه أعظم من سائر الحيوان بفضل النطق ، وبالنطق هتكت أسرار الحب ، فضاعت منى رفيقة صباى ، فتى أعرف فضل الصمت ؟

الوداع ، الوداع ، وداع الكاتب لبياض الورق وسواد المداد

الوداع ، الوداع ، وداع الشاعر لعباب النيل فى ليلة قمراء من ليالى الصيف ، وإلى غير ميعاد ...

« الكاتب المجهول »

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

أغرب ما قرأت — نهاية فلان — بين الكفر والايمان

أغرب ما قرأت

فى بعض الأحيان نقرأ أشياء تلفت النظر لسبب أو أسباب، ثم نراها أهون وأصغر من أن يجرى القلم فيما تنطوى عليه من غرض بعيد أو قريب

وآفة الأدب العربى لهذا العهد أنه لا يلتفت إلى الجزئيات، بحجة أنها فى الغالب من توافه الشؤون، مع أن الحوادث الصغيرة قد تضمر فى طياتها متاعب خطيرة، ومع أن العقل يوجب أن ندرس جميع الأشياء دراسة نقد وتشريح

وأنا اليوم أسوق خبراً تافهاً جدًّا، وإن كنت أعتقد أنه أغرب ما قرأت، فما ذلك الخبر التافه الغريب ؟

للشركات الأجنبية فى مصر أسلوب طريف فى اختيار اللغة التى تُعامِل بها الجماهير، فهى تكتب باللغة العربية فى حال، وبإحدى اللغات الأوربية فى أحوال، فإن كان ما تكتبه نوعاً من الإعلان جعلته باللغة العربية ليفهمه الجمهور بلا عناء، وإن كان ما تكتبه متصلاً بالعقود جعلته بلغة أعجمية، لتخفى دقائقه على أكثر الناس !

هذا هو الخبر، فهل ترونه من التوافه ؟ وهل ترون أنه على تفاهته يستحق الالتفات ؟

نهاية فلان

هو كاتبٌ فصيح يعرفه قراء اللغة العربية من أعوام طوال، ثم تحوّل فجأةً إلى كاتبٍ عاميّ اللغة والمذهب، فما سببُ هذا التحول المزعج ؟

كان فى بداية حياته الأدبية يرتاب فى قدرته على الإنشاء الفصيح، فكان يبحث عمن يقوّمون عباراته، ويرفعون عنها آصار العُجمة والتهافت، وبهذه الخطة كانت ثقته بنفسه تضعُف من يوم إلى يوم، ثم رأى أن يتحرر من سيطرة المراجعين والمصححين فأعلن أن اللغة العامية أحسن اللغات وأنه سيجعلها لغته المختارة إلى أن يقضي الله فى أمره ما هو قاض.

كان فلان ولن يزال من أهل الرأى وأصحاب الخيال، وكذَب من ادّعوا أنهم قولوه ما لم يقُل وأنهم مصدر الوحى لأدبه الجيل

فهل نرجو أن ينظر فلان فى هذه الكلمة الخالصة لوجه الأدب والحق، فيكتب اللغة الفصيحة على سجيته وفى حدود ما يطيق ليصبح بعد قليل وهو من أساطين البيان ؟

فلان شخصية كريمة الجوهر، وضياعُها على الأدب الفصيح ضربٌ من الُخسران، فهل يرفق بنفسه فيروضها رياضةً جديدة على أساليب الفصحاء بلا تكلف ولا افتعال ؟

القليل من وحى الطبع أجدى وأنفع من الكثير المصنوع، فارجع إلى طبعك يا فلان، وانتفع بما فيه من ثروة أصيلة، قبل أن يصعُب انتشالك من هُوّة مذهبك الجديد، صانك الله ورعاك !

بين الكفر والايمان

قيل وقيل : إن الأدب سيجوز فيه ما يجوز فى جميع الصناعات، فيحترفه من يشاء حين يشاء، ولو كان صغير الرأس أو نحيل الوجدان

وأقول : إن الأدب شريعة ربانية لا يصلُح لها غير المصطفَين من أرباب القلوب، فمن العسير أن يضاف إلى أهل الأدب من لا يخط حرفاً إلا وهو مَسُوقٌ بإرادة خارجية، على نحو ما يصنع الفارس الذى رسمته يد البهلوان فى أحد الأشرطة السينمائية

الأدب إيمانٌ وثيق لا يعرف الأشخاص ولا الأزمان ولا الظروف، فليس بأديب من يفرح لأن صدراً يحتضنه بلؤم أو بشوق، ليجعل من أنامله أداةً يلتقط بها الأشواك، وليس بأديب من تخدعه الخوادع الوقتية، فيتوهم أن الخلود نعمةٌ يجود بها أهل الفناء

الأدب فوق ما يتوهم الأصاغر من طلاّب المِنح الذواهب، الأدب قوةٌ ذاتية يتوحّد بها صاحبها توحد الليث، فليس منا من يرى الحياة أو الجاه فى التشرف بخدمة هذا المخلوق أو ذاك، وليس منا من يعقّ إخوانه ليظفر بالزاد المأدوم بالزور والبهتان...

الأدب الحق منحة ربانية يجود بها الله على أرباب القلوب

زكى مبارك

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٨ مارس سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٦٥٤ سنة ١٩٤٢ ضد عبد المنعم اسماعيل رحال تاجر بدمنهور بالحبس شهرا مع الشغل وغلق محله لمدة ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه ذرة بسعر أزيد من التسعيرة

رسالة الطالب

[مهداة إلى طلاب العرب فى جميع الأقطار]

للأستاذ سعيد الأفغانى

« سلمنى طالب فى طريقى كتاباً باسمى ففضضته فاذا هم يطلبون منى أن أجيب كتابة على هذا السؤال : ما هى السبل التى ترونها ناجعة فيتجه إليها الطلاب ليكونوا الجيل الجديد : عماد البلاد الحقيقى ؟ وقد آثرت نشره هنا فى مجلة العرب تعميما للفائدة ، وسلكت فى الاجابة طريق التبسيط والمثل ، متجافياً عن القواعد والنظريات ، وكل ما يحول دون فهم الطلاب لها الفهم الجيد »

أراد أحد كبار المحدثين أن يختصر الطريق على طالب يتخرّج عليه فى الحديث ، فحفَّظه مدة عشر سنين أربعمائة ألف حديث بأسانيدها . فلما أتقن الطالب الحفظ وودع أستاذه قبل سفره إلى أهله ، لم ينس هذا الأستاذ أن يخبره : أن هذه الأحاديث أربعمائة الألف كلها موضوعة لا تصح . فأسقط فى يد الطالب وقال : « أضعتَ يا سيدى عمرى فى حفظ ما لا يصح . أساغ فى ذمتك إهدار عشر سنين هن أنضر العمر ؟ » . فابتسم الأستاذ ، وهدّأ من حزن تلميذه قائلاً : « لم يضع شىء ، الآن يا بنى أبصرت الطريق ، وصرت آمناً عليك كل تدليس ، مطمئناً إلى دخولك غمار هذا المجتمع الزاخر بالوضع والكذب والتلفيق ، ولن تعجزك بعد هذا معرفة الصحيح »

* * *

أعجبتنى طريقة هذا المحدث ، ووضحت لى حكمة الأصوليين القائلين : « درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة » . والخير فى أن نحكم الوسائل السلبية لكل أمر قبل العناية بوسائله الإيجابية ، وأن نعنى بدفع الضار أضعاف ما نعنى بجلب النافع . فهل من حرج علىّ إذاً ، إن أنا عدلت عن بيان ما يجب لبناء الجيل الجديد إلى بيان أسباب إخفاقنا نحن أبناء الجيل الحاضر فلعل أول النجاح لأبناء المستقبل أن يتوقّوا ما ارتطم فيه مَن قبلهم.

تسألون — أيها الطلاب — عن السبل الناجعة فى تكوين الجيل الجديد ؟ ألا فاعلموا أنها سبيل واحدة فقط ، خطوتها الأولى أن تجتنبوا ما تورطنا فيه نحن أبناء الجيل الحاضر ، من عبودية لكل تقليد ضار فى أخلاقنا وعاداتنا ونظمنا وتعليمنا . ولقد كان من أعظم الأسباب فى إخفاقنا أمور ثلاثة : خلق منحل تستره دعاوٍ عريضة من الكمال والفضيلة والوطنية ؛ وعلم مزيف كاذب خير منه الجهل الصريح ؛ وفقر فى وسائل كسب العيش من طرقه الشريفة ، هو أحد المظاهر فى فقدان الرجولة . لم يثبت لنا — ولا حكم للنادر — أثر نافع فى باب من أبواب الجد ، ولم نستطع أن نتحرر مما غرسوا فى أفكارنا فأكثرنا مقلدون ببغاوات .

فإن رأيتمونا بعد هذا — والعالم من حولنا يجدّ — أحلاس الملاهى والمقامر والحانات ، مبددين فيها دم الشعب وثروته ، نصف نهارنا ومعظم ليلنا ، حاملين لأنظاركم أخنث الهيئات و (أميع الموضات) من تلميع وجوهنا وأحذيتنا وتصفيف شعورنا حتى إطالة أظافرنا ... إن رأيتمونا كذلك فاغفروا لنا هذه الإضاعة وهذا الانتحار ، فلعلنا ضحايا خطط خفية محكمة

لا تمقتونا على إهانة الخلق وتبديد الثروة وقتل الوقت ووأد الكرامة والرجولة ، فما ينتظرنا من مقت الله والوطن أكبر من مقتكم .

لا تقلدونا ، فإنكم مخلوقون لزمان غير زماننا ، لزمان صعب كله جد ، لا مكان فيه لغير المجدين العاملين ... وما كان زماننا لعباً ، ولكنا طبعنا على غرار واحد : أن نكون أطفالاً كباراً عالة فى كل شىء ، لا نهتف إلا بما يوحى إلينا ، معطلين عقولنا وضمائرنا ، أبواق دعايات نموهها بالعلم أحياناً ، وبالنهوض بالوطن والدين أحياناً ، ثم نروغ إلى حيث نؤدى الحساب ونأخذ الأجر ونتلقى التعليمات لنعيد تمثيل الدور كرة أخرى

منا الذين ورثوا الثروات الطائلة ، ولم يكن آباؤهم قد أخذوهم بتثقيف ولا تهذيب اعتماداً على غناهم ، فلما آلت إليهم الثروة كانوا على جهل تام بطرق تنميتها وحفظها فوكلوا أمر تدبيرها إلى مرتزقين خانوهم ، وانصرفوا إلى حاناتهم ومقامرهم ومحال رذائلهم فما زالوا بها حتى خرجوا عن آخر قرش منها ؛ وألحت الرذيلة ، ولم يكن بدّ من كسب ما بعد أن ركبتهم الديون ، وكان هناك من يحتاج إلى أسماء أسرهم الفخمة فباعوه ضمائرهم ومصالح وطنهم وكانوا شر قدوة لمن دونهم

ومنا الذين آلت إليهم الضياع الواسعة والقرى الغنية ، فأنفوا المكوث فيها ومباشرة الأعمال الزراعية ، والزراعة لا تدر خيرها إلا على من يمنحها جهوده كلها ، وهؤلاء استكبروا أن يكونوا (فلاحين) كآبائهم وأرادوا أن يعيشوا (بكوات)

فما زالت زراعتهم تخسر حتى رهنوا القرى والضياع فى مصارف أجنبية ، تخلق بيدها الرهن ، ثم صاروا إلى مآل أرباب الثروات

ومنا الذين أرسلتهم أممهم ليأتوها بعلم الغرب وثقافة الغرب ومحاسن الغرب ؛ وأنفقت عليهم من أموال فقرائها ومساكينها ، ولم يمنعها فقرها من السخاء بالإنفاق ، رجاء أن يعوضوا عليها بعلمهم وخبرتهم أضعاف ما خسرت ... ثم رجعوا ... فإذا بعضهم عمى عن ذلك كله ، وأتانا بمفاسد الغرب وانحلال الغرب وأزياء الغرب وخموره ورقصه ... وأنا أقسم غير متحرج ، أنك لو طفت الغرب كله لما رأيت من يعكف على الملاهى والقمار والخمور عشر الوقت الذى يعكفونه ... وهؤلاء — كما تعلم — أرباب أعمال لو قاموا بواجباتها لما فرغ أحدهم لغير طعامه يلتهمه التهاماً ، ونومه يقطعه تقطيعاً

ومنا الذين أخفقوا فى أن يعرف لهم أثر ما فى علم أو أدب ، وأصر عليهم من منحهم الوظائف والشهادات أن يذكروا بشىء من الأشياء ، فراموا شهرة من أخصر طريق . وهل أخصر من أن ينكر امرؤ الوحى حتى يسمى بيننا مفكراً ، ولو جهل أين ولد الرسول ، وأين تقع مكة من الشام ؛ أو أن ينتقص النبى والخلفاء فيكون مؤرخاً ، ولو اعتقد أن فاتح بغداد هو عمر ابن الخطاب ؛ أو يشتم الدين فيكون حر الأفكار ... فيشتغل بعض الطلبة بالرد عليه فى الصحف ، فيشغل الناس بأمره ولو ساعة من نهار

ومنا الذين إذا كانوا فى وظيفة لم يفهموا ما يفهمه كل موظف فى العالم المتمدن من أن الموظف أجير لأرباب المعاملات ، إذا قصر فى الواجب عليه كان خائناً كالأجير الذى يسرق الوقت المأجور عليه ... فهم لا يفهمون الوظيفة إلا كرسياً ينتفخون عليه مصعرين خدودهم ، بأيديهم لفائفهم يدخنون ويتماجنون ، وأرباب المصالح وقوف يتألمون !

ومنا المتبطلون المأجورون لكل دعاية أجنبية : يروجون لها ويؤلفون لها الجميات والأحزاب ... فنا بحمد الله دعاة الفاشية والشيوعية والديمقراطية والدكتاتورية والإباحية ، وما شئت من مذاهب ونحل ودول ... كل ذلك يجد من يخدمه ويتعصب له وينافح عنه ؛ فإذا رحت تبحث عمن يخدم قضية بلاده خالصة ، رجعت خجلاً من ضآلة عددهم فى هذا الخضم الزاخر !

ومنا الذين إذا خرجوا من حيث يدرسون ، تحلقوا حلقاً فى حانات موبوءة ، وخيمة الهواء ، منتنة الريح ، إلى جانب مدارسهم ، على مرأى من طلبتهم ، يلقنونهم بذلك أقبح المثل وأحط الأخلاق وأبذأ الوقاحات ... حتى إذا كان للمعارف يوماً من الأيام وزير قوى الخلق غيور ذو نخوة ، وأذاع على موظفيه بلاغاً يحظر فيه على رجال التعليم ارتياد مباءات السقوط ، أمضى هؤلاء البلاغ ، وهرعوا من فورهم سراعاً إلى حاناتهم تلك ، فشربوا نخب البلاغ معربدين معطعطين ، وأصابت فيهم الوقاحة المتسفلة أحط دركاتها

أجل ... أيها الأعزاء ... منا كل ذلك ، ومناشر من ذلك مما لا أستطيع التصريح به ... فإن كنتم لا تتوقعون من هذه الجراثيم الطفيلية خيراً ، لا لأنفسهم ولا لبلادهم ولا لأمتهم ، فهذا هو الذى وقع ، وإن قدرتم أنهم يأتون على أمتن القواعد من أساسها ، فهذا ما أريد منهم ، وهذا ما عصف ببنائنا من قواعده . وإن عزوتم ما فى البلاد من كرامة وفضيلة إلى غمار الشعب وطلبته المصومين وبعض خاصته المهذبين فأنتم على صواب وإياكم أن تظنوا أن هذه السموم التى حملناها — شاعرين أو غافلين — هى محصول وطنكم ، أو أن بلدكم مما ينبت هذه الرذائل ، وفى فطنتكم غنًى عن التصريح ، وصدق الله العظيم[1]

***

وبعد ، فحسبنى عددت — بأوجز لفظ — بعض الأسباب فى إخفاق جيلنا ، بما تسمح به الظروف ، وعسى أن ينفّس الله الخناق فأعود ببعض التفصيل لما أجملت ؛ فإن وقاكم الله — أيها الطلاب — هذه الشرور ، وحمى جيلكم من هذه الآفات وتوابعها ، كونتم بأيسر سبيل عماد البلاد الحقيقى قوياً سليماً

وإن كان لا بد من نصيحة إيجابية بعد ما تقدم ، فهى فى أن تأخذوا من مدنية الغرب أسباب القوة المادية كلها : فى العلم والتنظيم والصناعات ... أما غذاء أرواحكم وقانون أخلاقكم ، فانشدوهما فى تراثكم المجيد ... وحذار حذار أن تخدعوا عما مدت لصرفكم عنه الأحابيل ، وتنوعت المكائد ، ولطفت الحيل ، ودقت الأساليب ، وخفيت الخطوات ... ألا وهو : دينكم وثقافتكم ؛ عضّوا عليهما بالنواجذ ، ففيهما — أيها الناشئون — كل قوتكم وعماد سلامتكم ، أفراداً وجماعات ...

لا تحيدوا عن سماحة القرآن وسمو الإسلام وتعاليمه قيد شعرة ، وكونوا فى ذلك رجالاً كل الرجال

(١) الآية : ٢٧ من سورة النمل

في الفلسفة الإسلامية

ابن باجـــه

للأســتاذ عمر الدسوقي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

الفصل الثاني من تدبير المتوحد [1]

تكلم ابن باجـه في هذا الفصل عن أعمال الإنسان ، والفرق بينها وبين أعمال الحيوان . أمّا الأعمال البشرية المحضة الخاصة بالإنسان فهي الصادرة عن الإرادة المطلقة : أي الإرادة المصحوبة بالاختيار والروية والتفكير الحر ، لا عن غريزة ثابتة في الإنسان ثبوتها في الحيوان . وقد يشارك الإنسان الحيوان في بعض أفعاله كأن يهرب من مفزع أو يكسر عوداً خدشه ، لأنه خدشه فقط ، فهذا عمل حيواني ، أمّا أن يكسره لئلاّ يخدش غيره أو عن روية توجب كسره فذلك عمل إنساني .

فالعمل الحيواني إذاً هو الذي يصـدر عن انفعال نفساني وغريزة ثابتة كالغضب والخوف ، أمّا العمل الإنساني فهو الذي يوحيه الفكر سواء تقدم الفكر انفعالٌ نفساني أو مؤثر غريزي أم أتى بعده ، وسواء كانت الفكرة يقينية أو مظنونة . ويندر أن تـكون أعمال الإنسان حيوانية على الإطلاق — لأنها على الأقل يصحبها التفكير في تنفيذها — أمّا الأعمال الإنسانية البحتة فقد توحد ، وإذا تعاونت الغريزة والفكر كان النهوض للعقل أقوى .

وأمّا من يفعل الفعل لأجل الرأي والصواب ، ولا يلتفت إلى ما يحدث في النفس البهيمية ففعله أولى أن يسمى إلٰهياً لا إنسانياً

ولهذا وجب على المتوحِّد أن يكون فاضلاً حتى إذا قضت النفس الناطقة بأمرٍ لم تعاند فيه النفس البهيمية ، لأنها إذا عاندت وضعت العراقيل والصعاب ، وكان حدوث العمل بكرهٍ وعسر .

والرجل الذي تتغلب فيه النفس الحيوانية على الناطقة أقل من الحيوان لأن الحيوان يسير على طبيعته وسجيته ، أمّا هذا النوع من الرجال الذي يملك الفكر الإنساني ، ويمكنه أن يتقن العمل ويتقاعد عن ذلك فهو أقل من الحيوان ؛ لأنه مع ذكائه ووقوفه على الخير والشر تراه يتبع الحيوان ، ومثل الذكاء في هذه الحال مثل الغذاء الشهي يعطي لبدن سقيم .

إنّ الجماد يتحرك إلى أسفل بالطبيعة ، وليس له قصد في حركته ، والعمل الحيواني في النفس كالغذاء والتولد والنمو يتم بدون قصد أي يتم بالطبيعة والغريزة . أمّا العمل الإنساني فهو يصدر دائماً عن تفكير وإرادة منّا ولذلك كان في قدرتنا التحكم فيه ، وعلى هـذا فالغايات والعلل النهائية لا تعين ولا تحدّد إلاّ بالأعمال الإنسانية التي هي مدار البحث .

الفصل الثالث

بعد أن تكلم على الأعمال الإنسانية التي تحدد الغاية ، وأن الغاية التي يجب أن يتوخاها المتوحد هي النفاذ إلى المعقولات أخذ يفرق بين العقل والروح والنفس ، وليس للمؤلف رأي خاص ، وإنما يردد ما ارتآه الفلاسفة ثم يتطرق إلى العالم الروحاني ويرى ابن باجة أنه أربعة : العقول الفلكية ، والعقل الفعّال ، والعقل الهيولاني ، والجزء المفكر من النفس الإنسانية بمـا يشتمل عليه من قوى كالنطاسيا Sense Commun والخيال ، والذاكرة والمفكرة ... الخ .

[1] نقل هذا الفصل الأستاذ أبو ريده عن النسخة التيمورية ، ونحن هنا نلخصه عن مونك مع الموازنة بينه وبين ما نقله مترجم دي بور

وتضلموا جهد طاقتكم من تاريخكم المجيد ولغتكم البكرية ، ساميتين عظيمتين كما خلقهما الله ، لا كما ينشرها أبواق الدس من الجاهلين الادنياء ... وإن آنستم من بعض مرشديكم انتقاصاً لأبطالكم ، أو تزهيداً في تاريخكم ، أو تحقيراً لـكريم تقاليدكم ، أو تهويناً للغتكم ، فانبذوا إليه على سواء ، واعلموا أنه مأجور جاهل ، فلا تهتموا به ، فإنه يزاد أجره ، ويُعلى مقامه على قدر ما يحدث من فتنة أو محنة ... دعوه يمت بدائه ، واعكفوا أنتم على دراسة تاريخكم ولغتكم ودينكم في دور الـكتب منقبين ممعنين فلـكم على ذلك أجر المجاهدين الصابرين

ثم لا تسمحوا لأيّ كان ، مهما عظمت مكانته أو طغت سطوته ، أن ينال من هـذه الثلاث : كرامتكم ورجولتكم وعروبتكم ... فإنه لا خير لنا ولا لبلادنا في شاب : لا كريم ولا عربي ولا رجل ! !

وكل ما أسأل الله : أن يعزكم ويعز وطنكم بكم ، وأن يجعلـكم ممن قال فيهم : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين »

« دمشق » سعيد الأفغاني

أما العقول الفلكية فلا علاقة لها بالمادة ، وأما العقل الفعال فهو الذى يشكل المادة ويظهرها فى صور مختلفة ، وأما العقل الهيولانى فهو الذى يشمل الأشياء المادية المعقولة[1]

الفصل الرابع

فى غايات أعمال الإنسان ، فأعمال تخدم البدن ، كالأكل والشرب واللبس ، وغايتها التمتع المادى ، وإتمام الشكل الجسمانى ولا ينبغى إهمالها . وأعمال غايتها خدمة الروح وتشكيلها (الروح بما فيه الجزء الحيوانى والفكر) وتلك الأعمال تختلف باختلاف طبيعة الأشياء التى تقصد إليها نبلاً وخسة : (ا) فنها ما يلذ للحس الباطنى كغرور بعض الناس بارتداء الثياب الجيلة فى الظاهر وهم يهملون الملابس الداخلية (ب) ومنها ما يلذ الخيال كأن يتسلح الإنسان فى غير أوقات الحرب (حـ) ومنها ما يقصد به التسلية والسرور كاجتماع الأحباب والألعاب ، والعلاقات الشريفة بالمرأة Relations galantes ، والترفه والسكن الجيل ، واقتناء الأثاث والبلاغة والشعر (د) الأعمال التى غايتها كمال العقل والفكر كأن يدرس رجل علماً لذاته كى يكمل عقله لا ليعود عليه بنفع مادى ، أو كأن يقدم على الأعمال الشريفة الكريمة بدون ترقب نتيجة معينة

الفصل الخامس

إن من يقتصر على الأعمال الجسمانية يضع نفسه فى صفوف الحيوان ، ومن يهمل الوجود الجسمانى ألبتة يعمل ضد القانون الطبيعى ، وهذا لا يجوز إلا فى حالات استثنائية حيث يكون احتقار الحياة فرضاً على الإنسان كأن يموت فى سبيل الدفاع عن الوطن أو الدين ، ولا يمكن أن يصل الرجل المادى إلى السعادة

وعلى المتوحد ألا يتناول من الأعمال الجسمانية إلا ما كان وسيلة فى مدٍّ أجله ، وعليه ألا يقدّم العمل الجسمانى على الروحانى أبداً ؛ ثم لا يأخذ من أرقى أنواع الأعمال الروحانية إلا ما كان ضرورياً للمعقول ؛ ثم يتعلق فى النهاية بالمعقول المطلق ؛ لأنه بالعمل الجسمانى يكون مخلوقاً إنسانياً ، وبالروحانى يكون مخلوقاً أرفع ، وبالمعقول يصير معقولاً سامياً إلٰهياً .

(١) يظهر أن ابن باجة لم يوضح العقل الهيولانى أو أن مونك لم ينقله كما يجب ، وعلى كل فهذا التقسيم الذي ذكره ابن باجه ذكره ابن رشد والعقل الهيولانى عند ابن رشد هو عقل الانسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها وهو أزلي . ولعل ابن رشد فهم ما قصده أستاذه ابن باجه أكثر منا

فالفيلسوف إذاً إنسان سام إلٰهى على شرط أن يختار من كل نوع من الأعمال صفة ، وأن يختلط بأهل كل طبقة من الناس لأجل أسمى ما فى كل واحد منهم من الصفات ، وأن يميز نفسه عن الجميع بأعماله المتناهية فى الرفعة والمجد ، فإذا ما وصل الإنسان إلى الغرض النهائى ، أى عند ما يفقه العقول البسيطة والعقول المفارقة Intelligences separées يصير واحداً منهما (يظهر أن هذا فى الحياة الدنيا وفيه مخالفة للفارابى) ويمكن أن يسمى مخلوقاً إلٰهياً بحق وجدارة

الفصل السادس والسابع والثامن

على الرغم من أن الفكرة التى يرمى إليها ابن باجه فى هذه الفصول غامضة كما صرح بذلك ابن رشد ، وعلى الرغم من أن الفصل الثامن والأخير وجد فى النسخ ناقصاً فإنا نستطيع أن نوجز ما يريده ابن باجه فيما يأتى :

إن الهيولى لا يمكن أن توجد مجردة عن صورة ما ، أما الصورة فقد توجد مجردة عن الهيولى[1] ، وإلا لما استطعنا أن نتصور إمكان أى تغير ، لأن التغير إنما يكون ممكناً بتعاقب الصور الجوهرية ، وهذه الصور من أدناها وهى الصورة الهيولانية إلى أعلاها وهى العقل المفارق — العقل الفعال — تؤلف سلسلة والعقل الإنسانى يجتاز فى تكامله مراحل تقابل تلك السلسلة حتى يصير عقلاً كاملاً[2]

وفى النفس الإنسانية قوى مختلفة فنها ما يدرك المحسوسات ومقره « الفنطاسيا » أو الحس المشترك ، ومنها القوة المتخيلة التى تظهر فى الميل الطبيعى L'appétit[3] والشهوة ، وهذان مشتركان فى الإنسان والحيوان ، ومنها القوة الفكرية . وهناك نوع موهوب من الناس عنده قوة أخرى لا تحتاج فى إدراك الأشياء إلى برهان أو دليل ، وإنما يكون ذلك بطريق الوحى والإلهام والرؤيا الصادقة ، وهذان النوعان الأخيران خاصان بالانسان[4]

ولأجل أن يدرك الإنسان كماله يدرك أولاً الصور المعقولة

(١) يخالف بذلك رأى أرسطو الذى يقول بأن المادة لا تنفصل عن الصورة إلا فى الذهن (٢) دى بور ص ٢٤٣

(٣) مونك ص ٣٩٩ الملحوظة الأولى

(٤) توجد بعض أعمال يحتويها الطبيعة بعض الحيوان ، ولقد أبدى أرسطو نفس هذه الملحوظة وقال إنه يوجد فى بعض الحيوان حذر شديد ولا سيما تلك التى ليس فيها الدم كالنمل والنحل — مونك نفس الصفحة

للجسمانيات ، ثم تصورات النفس المترددة بين الحس (القوة القوة المتخيلة) ، ثم العقل الانسانى فى ذاته ، ثم العقل الفعّال ، الذى فوقه ، وينتهي إلى إدراك عقول الأفلاك المفارقة ، ويترق الانسان فى هذا السلم ويصل إلى ما هو فوق طور العقل وإلى ما هو إلٰهى

ويقول المؤلف : « إن العقل الفعال لا ينقسم أى لا يتجزأ ، وكل نوع من الكليات يوحد فى العقل الفعال كوحدة ، وعلى هذا فعلم هذا العقل المفارق واحد وإن كانت موضوعاته مختلفة بتعدد الأنواع ، وإنما كانت متعددة لأنها تظهر فى مواد مختلفة . وفى إمكان العقل بالفعل[1] أن يقرب هذه الكليات منه ويدركها ولأجل هذا كان الإنسان أقرب المخلوقات إلى العقل الفعال . فالعقل الإنسانى يصل إلى معرفة الكلي بشروق نور العقل الفعال ، وكل إحساس أو تخيل غير معرفة الكلى فهو معرفة خادعة[2] . إن العقل الإنسانى يصل إلى كماله بالمعرفة العقلية لا بالخيالات الصوفية الدينية التى لا تبرأ من شوائب الحس . والنظر العقلى هو السعادة العظمى لأن غايته المعقولات كلها . وإذا كان الكلى بهذه المثابة فلا يمكن القول ببقاء العقول الإنسانية بعد هذه الحياة »

أما النفس التى تدرك الجزئيات بتخيلها لها على نحو يجمع بين الإحساس والتعقل والتى يتجلى وجودها فى شهوات متعددة وأفعال متنوعة كأمر فقد تستطيع البقاء بعد الموت وتلق الثواب والعقاب . إن العقل أو الجزء المفكر فى النفس واحد فى كل عاقل ، وعقل الإنسانية فى جملتها هو وحده الأزلى وذلك باتحاده بالعقل الفعال . وقد تأثرت الأفكار المسيحية بنظرية وحدة النفوس[3] هذه إبان القرون الوسطى وعرفت بنظرية ابن رشد

ويقول مونك : « إن ابن باجه لا يوضح بجلاء الطريق التى تتم بها تلك الحركة السامية ، وكيف يتصل العقل الإنسانى والعقل الفعال العام ، وقد رأينا فى رسالة الوداع أنه مضطر إلى إدخال قوة فوق الطبيعة لإتمام هذا الاتصال » هى إشراق نور العقل الفعال على العقل الإنسانى .

---

(١) العقل بالفعل هو عقل الانسان ويسمى العقل المنفعل وهو يفنى بفناء الانسان — ومع أن ابن باجه يقول إنه بالتفكير يستطيع هذا العقل بالعقل أن يتصل بالعقل الفعال ومع هذا لم يبين لنا كيف يكون الاتصال وتراه يضطر إلى إدخال قوة خارجية يسميها الالهام أو الوحى حتى يتم هذا الاتصال .

(٢) يتأثر هذا برأى أفلاطون والكليات هنا تشبه عالم المثل عند أفلاطون

(٣) لقد وضحنا هذه النظرية فى المقال السابق كما نشره ابن رشد

المتوحد

والواضح عند ابن باجه هو ذلك الطريق الخلقى الذى رسمه للمتوحد والذى ينصحه فيه ألاّ يرتبط بالرجل المادى ولا بالرجل الذى ليس له إلا غاية روحانية نفسانية « التى تتردد بين الحس والعقل » ، ولو فى أرقى أنواعها ، وواجبه أن يرتبط بالفلاسفة والحكماء ، ولما كان هؤلاء يوجدون بقلة فى بعض الأمكنة وتخلو منهم أمكنة أخرى ، وجب على المتوحد أن يبتعد عن الناس على قدر الإمكان ، ولا يختلط بهم إلا لأجل الضروريات بمقدار ضرورى ، كما يجب عليه أن يعطى نفسه بأكمله لتعليمه الإلٰهى ، وأن يضئ لمن حوله كالنور ، ويهب نفسه سراً لإدراك علم الخالق Cult du Createure كما لو كان ذلك أمراً معيباً ، وعليه أن يرتاد الأماكن التى بها العلماء والحكماء إن وجدهم ، وأن يجتنب الشبان القليلي الخبرة . ولا يرى ابن باجه فى هذا التوحد مناقضةً لعلوم السياسة التى تقول : إن مجانبة الناس خطأ ؛ ولا العلوم الطبيعية التى تقول : بأن الإنسان مدنى بالطبع ؛ لأن هذين المبدأين صحيحان نظرياً إذا تملك الرجال كمالاتهم الطبيعية ، ولما كان هذا نادراً وجب على المتوحد الابتعاد عن المجتمع[1] .

« بيروت » **عمر الدسوقى**

---

(١) راجع الفصول الخمسة الأولى من رسالة تدبير المتوحد حتى تفهم برنامجه . وعلى العموم فأفكار ابن باجه كلها أو جلها على الأقل موجودة فى حى بن يقظان . وهو عند ابن رشد أوضح ، وأثر ابن باجه فى هذين الحكيمين عظيم جداً .

بمناسبة مرور أربعين عاما على وفاة

السيدة عائشة عصمت تيمور

للأستاذ إسحق شموش

في مثل هذا الشهر (مايو) من عام ١٩٠٢، فجع الأدب العربي بوفاة الأديبة الكبيرة عائشة عصمت تيمور، التي جددت في العصر الحديث عهد ربات الخدور بالأدب، وساهمت في النهضة النسائية المصرية بنصيب وافر وقسط عظيم

وهي تمت إلى الدوحة التيمورية الكريمة التي منحت العربية ما لم تمنحه أية أسرة مصرية أخرى، لغويين وشعراء، وكتاب، وقصصيين، نهضوا بلغة الضاد وآدابها نهضة جبارة، وسموا لرفعهما إلى مصاف سائر اللغات والآداب الراقية سعياً يبعث على التقدير والإعجاب

فالسيدة عائشة هي كريمة رب السيف والقلم إسماعيل باشا تيمور، وشقيقة اللغوي القدير أحمد باشا تيمور، وعمة القصصي الأستاذ محمود تيمور الذي يعد بحق خير خلف لخير سلف

وقد ولدت في مدينة القاهرة سنة ١٢٥٦ هجرية الموافقة لسنة ١٨٤٠ ميلادية، وأبدت منذ نعومة أظفارها ميلاً قوياً للدراسة، وشغفاً عظيما بالمطالعة، فتعلمت العربية، والتركية، والفارسية، وأجادت الكتابة والنظم في كل منها إجادة غير يسيرة؛ إلا أن والدتها حاولت صرفها عن الأدب إلى التطريز والنسج، ولكن بدون جدوى، فنشأ عن ذلك نزاع بينهما، وصفته عائشة في مواضع مختلفة من مؤلفاتها:

« لما تهيأ العقل للترقي، وبلغ الفهم درجة التلقي، تقدمت إليّ ربة الحنان والعفاف، وذخيرة المعرفة والإتحاف، والدتي تغمدها الله بالرحمة والغفران، بأدوات التطريز والنسيج، وصارت تجد في تعليمي، وتجتهد في تفطيني وتفهيمي، وأنا لا أستطيع التلقي، ولا أقبل في حرفة النساء الترقي، وكنت أفر منها فرار الصيد من الشباك، وأتهافت على حضور محافل الكتاب بدون ارتباك، فأجد صرير القلم في القرطاس أشهى نغمة، وأتحقق أن اللحاق بهذه الطائفة أوفى نعمة، وكنت ألتمس من شوق قطع القراطيس، وصغار الأقلام، وأعتكف منفردة عن الأنام، وأقلد الكتاب في التحرير، لأبتهج بسماع هذا الصرير، فتأتي والدتي وتعنفني بالتكدير والتهديد؛ فلم أزد إلا نفوراً، وعن صنعة التطريز قصوراً »[1]

وعلى نقيض ذلك كان والدها يشجعها على دراسة الأدب وممارسته: « فبادر والدي تغمد الله بالغفران ثراه وقال لها: دعي هذه الطفلة للقرطاس والقلم[2] »

وقد كررت الإشارة إلى تشجيع والدها بصورة أوضح في مقدمة ديوانها التركي الفارسي، فوضعت على لسانه وهو يخاطب والدتها العبارات التالية:

« ما دامت ابنتنا ميالة بطبعها إلى المحابر والأوراق، فلا تقفي في سبيل ميلها ورغبتها، وتعالى نتقاسم بنتينا: فخذي « عفت » وأعطني « عصمت »؛ وإذا كان لي من « عصمت » كاتبة وشاعرة، فسيكون ذلك مجلبة الرحمة لي بعد مماتي[3] ».

وقد تحقق رجاء إسماعيل باشا تيمور، فكانت « عصمت » مجلبة رحمة له، بل ومجلبة شهرة وفخر كذلك

وتزوجت « عائشة » باكراً جداً في الرابعة عشرة (١٨٥٤ - ١٢٧١) من محمد بك توفيق الاسلامبولي، ورزقت منه بـ « محمود » و « توحيدة »، غير أنها رزئت بفقد هذه الأخيرة قبل أن تتجاوز الربيع الثامن عشر، فبكتها أحر بكاء، إلى أن كلّ بصرها، وأصيبت برمد شديد لبث يختلف عليها إلى آخر حياتها

وقد رثت « توحيدة » بقصيدة رائعة، مطلعها:

إن سال من غرب العيون بحور فالدهر باغ والزمان غدور[4]

وربما كان أجود ما فيها البيت التالي:

لو بث حزني في الورى لم يلتفت لمصاب قيس، والمصاب كثير[5]

وقد جمع شعرها العربي في ديوان « حلية الطراز » كما جمع شعرها التركي والفارسي في ديوان « شكوفه ». ومن آثارها النثرية مجموعة قصص على نمط « ألف ليلة وليلة » دعتها « نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال »، وأبحاث اجتماعية معروفة بـ « مرآة التأمل في الأمور »

ويتسم شعرها بالنزوع إلى القديم نزوعاً قوياً، ولا سيما في تشبيهاته واستعاراته وكناياته، فاللحاظ سيوف، والخدود ورود، والقدود غصون، والأسنان درر، وباب الممدوح كعبة

(١) و (٢) كتاب « نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال »
(٣) مقدمة ديوان « شكوفه »
(٤) و (٥) ديوان « حلية الطراز » ص ١٧

أولى السجود ، وليس الممدوح سوى كوكب يتألق فى سماء العز والمجد ، أو بدر يلمع فى ليالى الشقاء والبؤس ... الخ

والمزة البارزة فى شعرها التى تجعل له قيمة أدبية ، هى الصدق فى التعبير عن عواطفها ، وهذا الصدق أكثر ما يتجلى فى مراثيها التى تبكى فيها أعز الناس لديها ، وأحبهم إليها

وقد قصرت شعرها ، أو كادت تقصره على أغراض ثلاثة :

١ — « المدح » : ويشكل قسماً كبيراً من شعرها ، ويكاد ينحصر فى خديو مصر الذى يمثل لديها الزعيم السياسى والدينى معاً ، الجدير بالطاعة العمياء والإعظام الذى لا يقف عند حد

ومما لا ريب فيه أنها كانت صادقة الولاء فى مدحها ، ولم تتخذه أداة للكسب كما كان يفعل كثير من شعراء عهدها

غير أنها أسرفت كثيراً فى مدح الخديو حتى أنها لم تتورع عن رفعه إلى مصاف الملائكة ، ونسب أكبر مقدار من أكرم الصفات والمزايا إليه :

لو قيل للشرف اختر قال خدمته
أو قيل للدهر سابق عزمه افتضحا (١)

فالنصر عونك ، والزمان مطاوع
والسعد عبد ، والكمال صديق (٢)

ولا فرق عندها بين خديو وآخر ، إذ أن مدحها للخديوية نفسها لا لشخص الخديو ، وهذا هو السر فى كونها مدحت الخديو سعيد والخديو اسماعيل ، كما مدحت الخديو توفيق والخديو عباس ؛ كأنما كل من يتسنم أريكة الخديوية يصبح أهلاً للمدح ، وأى مدح !

٢ — الرثاء : وقد توفرت على الرثاء بقدر ما توفرت على المدح ، وكما قصرت مدحها أو كادت تقصره على الخديو ، قصرت رثاءها أو كادت تقصره على أفراد أسرتها والمقربين إليها ، فرثت ابنتها ، ورثت شقيقتها ورثت والدها ووالدتها وأستاذها الشيخ ابراهيم السقا الخ ...

وفى رثائها أيضاً لم تتحرج من الغلو والإسراف

عز العزاء على بنى الغبراء
لما توارى البدر فى الظلماء (٣)

أو :

إنى ألفت الحزن حتى إننى
لو غاب عنى ساءنى التأخير (٤)

(١) ديوان «حليه الطراز» ص١٥ (٢) ديوان «حلية الطراز» ٢٢
(٣) « « ص٢٨ (٤) « « « ص١٩

وقد برعت فى هذا الضرب من الشعر براعة فائقة ، ووفقت إلى تصوير لوعتها وحزنها عند ما كانت تحد بها المصائب توفيقاً عظيماً مما يدل على أنها كانت ترثى عن حرقة حقيقية لا أثر للتكلف والتصنع فيها .

٣ — الغزل : وأكثره من الغزل الصوفى الذى يكاد يكون مقصوراً على النبى العربى محمد بن عبد الله ، وقد مهدت له بـ « قالت مستغيثة » أو « قالت توسلاً » وما أشبه

ومن أروع قصائدها فى هذا الغزل الدينى ميميتها التى مطلعها :

أعن وميض سرى فى حندس الظلم
أم نسمة هاجت الأشواق من أضم (١)

حيث تقول :

روحى الفداء ومن لى أن أكون له
هذا الفـداء وموجودى كنعدم

وما هى الروح حتى أفتديه بها
وهى البغاث بغاء الظـلم والظلم (٢)

وتتخلل بعض قصائدها أبيات قليلة ، فيها عن نفسها حديث لا يخلو من فخر وتحد :

ولقد نظمت الشعر شيمة معشر
قبلى ذوات الخدر والأحساب

وخصصت بالدر الثمين وحامت الـ
خنساء فى صخر وجوب صعاب (٣)

كما لا يخلو من إشارة مزهوة إلى فضلها على سائر النساء اللواتى إن نظرن فى المرآة فللتجمل والتزين ، وأما هى :

فجعلت مرآتى جبين دفاترى
وجعلت من نقش المداد خضابى

كم زخرفت وجنات طرسى أنملى
بعذار خط أو إهاب شباب (٥)

ومع أنها شاعرة لا ناثرة فقد لجأت إلى النثر أحياناً لمعالجة بعض القضايا النسائية كقضية السفور والحجاب مثلاً التى أثارها فى عهدها المصلح الاجتماعى الكبير قاسم بك أمين ، إلا أنها لم تبد فى هذه القضية رأياً صريحاً كما أنها لم تثبت على رأى واحد بصددها ، فقد يفهم أنها حجابية من الأبيات التالية :

بيد العفاف أصون عز حجابى
وبعصمتى أسمو على أترابى (٤)

ما ساءنى خدرى وعق عصابتى
وطراز ثوبى واعتزاز رحابى

ما عاقنى خجلى عن العليا ولا
سدل الخمار بلمتى ونقابى

(١) ديوان «حلية الطراز» ص٤ (٢) «ديوان حلية الطراز» ص ٥
(٣) « « « ص٣ (٤) « « « ص٣
(٥) ديوان «حلية الطراز» ص٣

عن طي مضمار الرهان إذا اشتكت
صعب السباق مطامح الركاب(١)

كما يفهم أنها سفورية من الجملة التالية :

« وأنا بين جدران الخدر كقطاط سجنها المطر ، وعاقها عن الانسياب برق يخطف البصر »(٢)

وأما موقفها من قضية المرأة المسلمة ، فهو موقف المحافظات المسرفات فى المحافظة ، ولا أدل على ذلك من بحثها « مرآة التأمل فى الوجود » حيث تصطنع لسان فقهاء الإسلام لمعالجة مواضيع على جانب كبير من الخطورة :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . فالرجل يقوم بأمر الزوجة مجتهداً فى حفظها وصيانتها وأداء كل ما تحتاج إليه ؛ ثم إن الحق لم يكتف بالحكم حتى بين السبب بقوله بما فضل الله يعنى بأمور لها وفرة فى العقل والدين ، ولذا جعل لهم الولاية والإمامة ، وجعل فيهم الخلفاء والأئمة ، وميزهم فى الشهادة بين الأمة ، فقال فى آية أخرى : فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى »(٣)

إن الرجال أسود عزت رفعة … تسطو على روض العلا وتصول
لهم النضير بكل غصن مثمر … وسواعد للساميات تطول
حازوا المكارم تحت عزة فضلهم … وشهودهم بين الأنام عقول(٤)

وهى تخلص من ذلك إلى استنكار بحث الشبان حين الزواج « عن الحلى والحلل والضياع والعقار ، لا عن النسب والتدين والعفة والوقار(٥) وتصب جام غضبها على الرجال الذين يتركون سلطتهم تنتقل إلى زوجاتهم ، وتضرب لهم المثل التالى :

وهو أن أسداً تكاسل عن الصيد ، وغلبه الجبن بالقيد ، فأمر لبوته أن تنوب عنه ، وتأتى بالفريسة بدلاً منه ، فانقادت لأمره ، وسارت على ما عهدته من سيره ، واستمرت مدة على هذا الحال . فلما طال الشرح عليها صارت تصطاد وتأكل ما اشتهت من أطايب اللحوم ولذائذ الأكباد ، وتلقى إليه من فضلات ما بقى . فاستشاط الأسد غيظاً ورأى أن ذلك إهانة لوقاره ، ومجلبة لعاره ، فقال لها خزيت يا لكاع ، كيف تأتينى بسقط المتاع ، وتجسرين على أكل الطايب قبلى ، وتخفضين رفعتى وتنسين فضلى ؟ إن كان غلب الشره عليك ، واستحيت أن تأكلى بحضرتى ، فأعدى لى أطايب الطعام ، وقدميها إلىّ أولاً كما جرت به العادة فى سالف الأيام . فضحكت اللبوة منه ، وقالت قد أخطأ وهمك ، وغلط فهمك ، إنى لم أنس فضلك ، ولم أجهل قدرك ، ولكن كان ذلك مذ كنت أنت أنت وأنا أنا ؛ وأما الآن فقد انعكس الحال وصرت أنا أنت ، وأنت أنا ، فلك على ما كان لى عليك . فأفحم الأسد ، ورجع على نفسه باللوم رجوعاً ، وآل على نفسه ألا يستعين بها على الصيد ولو مات جوعاً(١)

وهذا المثل كالأمثلة النثرية التى تقدمته ـ يدل دلالة واضحة على أن صلة نثرها بالقديم وثيقة ، كصلة شعرها ، إن لم تكن أقوى وأشد ، إذ جرت فيه على نسق المقامات وكليلة ودمنة ، فأغرقته فى فيض من المحسنات البديعية ، اللفظية منها والمعنوية ، وأفعمته بالأمثلة على ألسنة الطيور والحيوانات

وعلى كل فما لا ريب فيه أن تأثيرها فيمن تتلمذ عليها من ذوات الحجال كان عظيماً ، ولا سيما فى الأديبتين الناهجتين أمينة نجيب وباحثة البادية (ملك حفنى ناصف) اللتين برزتا على أقرانهما ، ونعمتا بشهرة أدبية واسعة

ونحن إذ نذكر اليوم السيدة عائشة تيمور ، فإننا نذكر أول من رفعت لواء الأدب من ربات الخدور فى النهضة الحديثة ، وأول من لجأت فى العصر الأخير لبيان بنات أفكارها إلى روائع النظم والنثير .

إزاك شموسه
أستاذ الأدب العربى الحديث
بالجامعة العبرية

(١) ديوان « حلية الطراز » ص ٤
(٢) « بلاغة النساء فى القرن العشرين » ص ٩٢
(٣) « » » » » ص ٩٥
(٤) « » » » » ص ١١٤
(٥) « » » » » ص ٩٦

(١) « بلاغة النساء فى القرن العشرين » ص ٩٩ ـ ١٠٠

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ١٦٥٠ سنة ٩٤١ بتغريم عبد الفتاح على سيد أحمد بقال بالزقازيق جنيهين وغلق المحل يوما لامتناعه عن بيع كبريت بالتسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ١٦٩٦ سنة ٩٤١ بتغريم زكيه إبراهيم ديب من القراموص خمسين قرشا لبيعها ذرة بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ١٧٢٦ سنة ٩٤١ بتغريم كل من ابراهيم محمد عبد العال ومحمد حسن عيرة بالزقازيق ١٠٠ قرش وغلق المحل يوما لبيعهما خبز بأزيد من التسعيرة

٣٤ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

الأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الحادي عشر — « الخرافات »

هناك شعائر درويشية كأشكال الدعاء ، وطرق الذكر لا يراعيها غير طوائف خاصة ، كما توجد شعائر أخرى تقوم بها الطوائف المختلفة . ونذكر من هذه طقوس (الخلوتية) و (الشاذلية) وهما فرقتان كبيرتان لكل منهما شيخ . والفارق الرئيسي بينهما أن لكل منهما أسلوبه الخاص في الأدعية التي يرددونها صباح كل يوم ، وأن السابقين يتميزون عن الآخرين بالخلوة أحياناً ، ومن ثم سموا خلوتية . وهؤلاء يتلون دعاءهم قبل الفجر ويسمى (ورْد السحر) أما دعاء الشاذلية فيقرأونه بعد الفجر ويسمى (حزب الشاذلي) . وقد يعتكف الخلوتي أربعين يوماً وليلة في خلوته صائماً ، من بزوغ الفجر إلى غروب الشمس طول هذه المدة . ويعتكف جماعة منهم أحياناً في خلوات مسجد الشيخ الدمرداش شمال القاهرة ثلاثة أيام وليال بمناسبة مولد هذا الولي ، ولا يتناولون أثناء ذلك غير قليل من الأرز وكوبة من الشراب عند المساء . ويشغلون أنفسهم بقراءة أدعية لا يعرفها غيرهم ؛ ولا يخرجون من الخلوة إلا للصلاة جماعة في المسجد ، ولا يجيبون أبداً من يكلمهم إلا بقولهم : « لا إله إلا الله » . ويتبع هذا النظام تقريباً أولئك الذين يعتكفون مدة الأربعين يوماً فيقضون الوقت مرددين الشهادة سائلين العفو حامدين الله .

يكاد دراويش مصر جميعهم أن يكونوا تجاراً أو صناعاً أو مزارعين . وهم لا يحضرون طقوس بعضهم إلا مصادفة ؛ غير أن بعضهم لا عمل له غير الذكر في الموالد والحفلات الخاصة والإنشاد في الجنازات . ويطلق على هؤلاء لفظ (فقير) ؛ ومعنى ذلك المعوز عامة ، إلا أنه يطلق على الأتقياء المساكين خاصة . ويعتاش البعض من تقديم الماء إلى المارة في شوارع القاهرة وزوار الأعياد الدينية . فيحملون الماء على ظهورهم في أباريق من الفخار أو من جلد الماعز . والقليل منهم يسلكون حياة التجول ويعيشون على الصدقات بلجاجة ووقاحة شديدتين . وبعض هؤلاء يميزون أنفسهم على طريقة الأولياء المشهورين بلبس (الدلق) أي السترة المرقعة ، وحمل العصا المعلق في أعلاها قطع النسج المختلفة الألوان ، ويلبس البعض الآخر ملابس غريبة مختلفة الألوان

ويتخذ بعض الرفاعية ممن لا يحترفون إخراج الثعابين من المنازل ، حياة التجول في بلاد القطر مستفيدين من خرافة مضحكة أذكرها الآن : كان سي[1] داود العزب وهو ولي مبجل من بلدة تفاهنه[2] في الوجه البحري يملك عجلاً يقوم على خدمته . فتعود بعض الرفاعية منذ وفاته تربية العجول في بلدة هذا الولي أو مدفنه وتمرينها على صعود السلم والاضطجاع عند ما تؤمر بذلك ، ثم يذهب كل منهم وعجله متجولاً في البلاد لجمع الصدقات . ويسمى العجل (عجل العزب) . وقد دعوت مرة أحد هؤلاء الدراويش إلى منزلي . وكان العجل — وهو الوحيد الذي رأيته — جاموساً يتدلى منه جرسان ، أحدهما في طوق حول عنقه ، والآخر في حزام حول جسمه . وقد صعد السلم جيداً ، إلا أنه أظهر ضعف مرانه من كل الوجوه . ويعتقد العامة أن عجل العزب يجلب إلى المنزل بركة الولي الذي سمى هذا الحيوان باسمه

وفي مصر دراويش جوالة من الترك والفرس ، وإلى هؤلاء الدراويش تنسب صفة اللجاجة والوقاحة أكثر مما تنسب إلى القلائل من المصريين الذين يعيشون معيشتهم . ويحدث كثيراً في شهر رمضان خاصة أن يذهب درويش أجنبي إلى مسجد الحسين الذي يتردد إليه كثير من الترك والفرس ، وقت صلاة الجمعة فيمر بين المصلين عندما يخطب الخطيب ويضع أمام كل امرىء قصاصة من الورق كتب عليها بعض كلمات تحث على الصدقة . وبهذه الطريقة يتناول من المصلين كلهم أو غالبهم قطعاً من ذوات الخمسة فضة أو العشرة فضة أو أكثر . ويحمل الكثير من دراويش الفرس في مصر ملعقة خشبية وطاسة مستطيلة من جوز الهند أو من الخشب أو المعدن حيث يتناولون الصدقات ويضعون الطعام . ويلبس أغلب الدراويش

(١) « سي » اختصار عامي لكلمة سيدي المختصرة من سيدي

(٢) لعلها بلدة « تفهنا العزب » بمركز زفتى مديرية الغربية
(المترجم)

الأجانب ملابس خاصة تبعاً لطوائفهم . وأهم ما يميزهم لباس الرأس ، وأكثر أنواعه شيوعاً ما صنع من اللبد على شكل قالب السكر المخروطى . وتتكون ملابسهم الأخرى من صدرية وسروال واسع أو آخر ضيق ، أو قميص وحزام ، وعباءة غليظة . ويتظاهر الفرس هنا بأنهم سنيون . ويعتبر الأتراك أكثر الطائفتين إزعاجاً ولجاجة . وأذكر هنا خرافة أخرى هي اعتقاد المصريين والعرب عامة بأن للطيور والحيوانات لغة تتفاهم بها وتسبح بحمد الله

ومن أهم المميزات فى خرافات المصريين المحدثين اعتقادهم بالتمائم والأحجبة التى يستند أكثرها على السحر ، ويشتغل بكتابة هذه التعاويذ أحياناً جميع مدرسى الكتاتيب القروية تقريباً . على أنه قلما يدرس من يقوم بهذا العمل شيئاً من السحر أكثر من الحصول على بعض صيغ من الأحجبة يتألف معظمها عادة من آيات قرآنية وأسماء الله مع أسماء الملائكة والجن والرسل ، أو الأولياء المشهورين يختلط بها تركيبات عددية وأشكال هندسية ويتوهم الناس أن ذلك كله له خاصية خفية عظيمة

وأكثر الأحجبة اعتباراً مصاحف القرآن ، وقد جرت العادة أن يحمل أتراك الطبقتين الوسطى والعليا وغيرهم من المسلمين مصحفاً صغيراً فى غلاف من الجلد المزركش أو المخمل يعلقونه على الجانب الأيمن بخيط من الحرير يمر فوق الكتف الأيسر . غير أن هذه العادة لم تعد شائعة كثيراً . وقد لاحظت أثناء زيارتى الأولى أنه قلما يرى تركي فاضل من السلك الحربى لا يحمل الغلاف السابق ذكره ، مع أنه كثيراً ما لا يحوى حجاباً ؛ ولا يزال النساء يحملن المصحف وغيره من الأحجبة ، فيضعنها فى أغلفة من الذهب أو من الفضة المذهبة أو الساذجة . ويعزو المسلمون إلى المصحف وأكثر الأحجبة قوة كبيرة ، ويعتبرونها حافظة من المرض والسحر والحسد وغير ذلك من البلايا

وهناك كتاب أو دَرج يجيء بعد المصحف مكانة به سور قرآنية تكون فى العادة سبعاً كسور : الأنعام والكهف ويس والدخان والرحمن والملك والنبأ أو غيرها . ويوجد حجاب آخر يوضع عادة داخل غطاء الرأس ، ويعتقد أنه يقى حامله من الشيطان ومن كل جن شرير . وهذا الحجاب قطعة ورق كتبت عليها الآيات التالية[1] : « ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » : (سورة البقرة آية ٢٥٥) ؛ « فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين » : (سورة يوسف آية ٦٤) ؛ « يحفظونه من أمر الله » : (سورة الرعد آية ١١) ؛ « وحفظناها من كل شيطان رجيم » : (سورة الحجر آية ١٧) ؛ « وحفظاً من كل شيطان مارد » : (سورة الصافات آية ٧) ؛ « وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » : (سورة يس) ؛ « والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » : (سورة البروج الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) . وكثيراً ما تكتب أسماء الله التسعة والتسعون ، فى ورقة يحملها الشخص ، فتجعله كما يعتقد محلاً خاصاً لرعاية هذه الصفات الكريمة جميعها . ويعتقد كذلك أن كتابة أسماء الرسول التسعة والتسعين على أى شيء تكون حجاباً كما روى الإمام على عن النبى (ص) يبعد كل مصيبة ووباء ويحفظ من الضعف والحسد والسحر والحريق والدمار والقلق والحزن والضيق . ويضيف المسلم بعد ذكر كل من هذه الأسماء قوله : اللهم صل وسلم عليه[1] . وتنسب مثل هذه الخصائص إلى حجاب يتضمن أسماء أصحاب الكهف واسم كلبهم[2] . وتنقش هذه الأسماء أحياناً فى قاع طاسات الشراب ، وغالبا على صينية الطعام المستديرة من النحاس المبيض . وهناك حجاب آخر يظن أن له تأثيراً مماثلاً . ويتألف هذا الحجاب من أسماء مخلفات النبى وهى تتألف من سبحتين ومصحف فى أجزاء غير مرتبة ، ومكحلة وسجادتين ورحا وعصا وسواك وحلة[3] والأبريق الذى كان يستعمله النبى صلعم للوضوء ،

(١) وتسمى « آيات الحفظ »

(١) كتب إلى أحد الأصدقاء وكان أستاذي ، قبل أن أترك منزلى بالقاهرة للعودة إلى انجلترا ، على قصاصة ورق : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ثم قطعها نصفين وأعطانى النصف المكتوب عليه : محمد رسول الله ، ثم أخفى النصف الآخر فى أعلى دولاب صغير فى غرفة الجلوس المعتادة ؛ وذلك لضمان عودتى إلى القاهرة ثانية ، إذ يعتقد أن الشهادة لا يمكن أن تبقى ناقصة ، فيعيدنى هكذا دوام الاحتفاظ بالنصف الآخر إلى النصف السابق

(٢) يقال إن هؤلاء كانوا فتية من نصارى افيزوس Ephesus لجأوا إلى كهف هرباً من اضطهاد الأمبراطور دقيلوس Decius فناموا هناك تحت حراسة كلبهم مدة ٣٠٠ سنة شمسية أو ٣٠٩ قرية . (سورة الكهف)

(٣) يحتفظ فى مسجد الغورى بالقاهرة بقميص يقال إن النبى (صلعم) كان يلبسه . وقد صر هذا القميص فى شال كشميرى ولا يعرض لغير العظماء

ونعل وبردة[1] وثلاث حصر ودرع ورداء طويل من الصوف، وبغله الأبيض (الدلدل) وناقته (العضباء). وتكتب أيضاً بعض الآيات القرآنية على قصاصات من الورق يحملها الناس وقاية من الشرور، واستشفاء أو اكتساباً للحب والصداقة الخ. ويحمل الكثير من المصريين المحدثين رجالاً ونساء وأطفالاً هذه الأحجبة وغيرها فى أغلفة من الذهب أو الفضة أو القصدير أو الجلد أو الحرير الخ.

ومن الشائع أن ترى الأطفال المصريين يحملون أحجبة ضد الحسد[2] داخل غلاف مثلث الشكل يعلق فى أعلى غطاء الرأس. وكثيراً ما يعلق على الجياد معلقات مماثلة. ويتقى المصريون الحسد بشتى الاحتياطات ويسمون قلقين لدفع نتائجه الوهمية عنهم. وقد يعبر البعض عن إعجابه بشىء إعجاباً يعتبر غير لائق فيعنفه من أزعجه هذا بقوله: (صل على النبي) فإذا امتثل الحاسد وقال: « اللهم صل عليه » لا يخشى شر. ومن غير اللائق أيضاً أن يعبر الشخص عن إعجابه بآخر أو بأى شىء لا يملكه بقوله: « يا سلام[3] » « ما أجمله » ويستحسن فى مثل هذه الأحوال أن يقول: « ما شاء الله » التى تشير إلى الإعجاب والخضوع لإرادة الله أو الرضا بها. فكثيراً ما يكون الأجدر بالمبدى إعجابه أن يقول ما شاء الله ويصلى على الرسول.

وقد بينت فى الفصل الثانى من هذا الكتاب خوف نساء مصر من أثر الحسد على أولادهن. والعادة فى هذا البلد أن يقول من يحمل ولد غيره بين ذراعيه: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد، ثم يقول ما شاء الله. والشائع أيضاً أن يقول المصرى عند ما يبدى إعجابه بصبى: « أعوذ برب الفلق لأجلك » مشيراً إلى سورة الفلق التى تنتهى بالتعوذ من شر الحسد. وقد ينظر بعض الناس إلى طفل أو يلوح أنه يحسده فيعمد الوالدان أحياناً إلى قطعة من أطراف ملابسه فيحرقانها مع قليل من الملح. ويضيف البعض إلى ذلك الكزبرة وحجر الشب الخ ويبخران الطفل بالدخان ويذران عليه الرماد، ويجب عمل هذا على مايقال قبيل الغروب عند ما يحمر قرص الشمس

ويستعمل المصريون الشب كثيراً لمنع أثر الحسد، فيضعون على الجمر قبيل الغروب قطعة منه بحجم الجوزة تقريباً حتى تنقطع عن الفوران، ويتلو من يقوم بهذا العمل أثناء احتراق الشب الفاتحة والسور الثلاث الأخيرة ثلاث مرات. ويبدو كما قيل أن الشب عند ما ترفع من النار تتخذ شكل الحاسد، ثم يسحقها ويمزجها بقليل من الطعام يرميه إلى كلب أسود ليأكله. وقد شاهدت هذه العملية يقوم بها رجل ظن أن امرأته نظرت إليه نظرة حاسدة. وقد اتخذت قطعة الشب وقتئذ شكلا يشبه شكل النساء كثيراً فقرر الرجل أنه وضع خاص تعودت عليه امرأته. إلا أن الشكل الذى يتشكل به الشب يكاد يتوقف على ترتيب الجمر ومن الصعب أن يكون هذا الشكل بحيث لا يرى فيه الخيال بعض الشبه بالإنسان — وهناك طريقة أخرى يتوهم الناس أنها تدفع تأثير الحسد وهى أن توخز قطعة من الورق بإبرة ويقول الواخز هذه عين فلان الحاسد. ويعتبر الشب حجاباً ناجعاً ضد الحسد. وقد يعلق الناس أحياناً قطعة من حجر الشب مسطوحة ومزينة بشراريب فى أعلى غطاء رأس الطفل. وتستعمل الأصداف والخرز بالطريقة نفسها وللغرض نفسه. وهناك أصداف صغيرة تعتبر واقية من الحسد خاصة تعلق فى عدد الجمال والجياد وغيرها من الحيوان وعلى غطاء رأس الأطفال أحياناً. ولا شك أن هذه المعلقات يقصد بها جذب العين فتمنعها من رؤية الشىء المراد حفظه من الحسد

محمد طاهر نور

(١) البردة الذى يلبسها فلاحو مصر قطعة مستطيلة من الصوف السميك تشبه الحرام فيما عدا اللون، إذ تكون على العموم سمراء أو قهباء. ويبدو أنها كانت فى الأزمنة الأولى مخططة دائماً. إلا أن بعض البرد الحديثة ساذجة والبعض الآخر ذات خطوط متقاربة جداً بحيث تبدو للناظر القريب أنها ذات لون واحد. وتوصف بردة النبي (صلعم) أنها كانت حوالى سبعة أقدام ونصف طولا، وأربعة ونصف عرضاً. وكان يستعملها كما تستعمل الآن للبسها نهاراً والتغطية ليلا

(٢) تبين هذه الخرافة عادات كثيرة كانت تبدو خلافا لذلك غامضة.

(٣) أو « يا سلام سلم »، ولفظة السلام من أسماء الله

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١١ مارس سنة ٩٤١ فى القضية ١٧٢٩ سنة ١٩٤١ بتغريم محمد حسن الديب بكفر أيوب ١٠٠ قرش لامتناعه عن بيع قمح بالتسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ في القضية ١٩٨٤ سنة ٩٤١ بحبس خطاب غنيم حسن البقال بالزقازيق خمسة عشر يوما بشغل وغلق المحل يوما لبيعه عدس بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ٢٠٠١ سنة ٩٤١ بحبس ابراهيم مصطفى محمد الجزار بكفر عثمان أسبوعين بشغل وغلق المحل يوما لبيعه لحم بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ٢٦ سنة ٩٤٢ بتغريم عبده مصطفى السيد الجزار بالابراهيمية ٣٠٠ قرش وغلق المحل يوماً لبيعه لحم بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٢. ٩ فى القضية ٤٩١ سنة ٩٤٢ بتغريم محمد أحمد صبري بالزقازيق ٣٠٠ قرش لبيعه ذرة بأزيد من التسعيرة

نعمة السلم

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أ كان خداع النفس للنفس أن أرى
جميع عباد الله أهــلاً و إخوانا

أنعمة سلم تلك أم تلك نقمة   تَطَامُنُ إنسان يصاحب ذؤبانا
فإن تبؤ الحرب الضروس بشرها   فيا رب خير جره الشر أحيانا

عرفنا العدى لا بارك الله في العدى
وحسبك أن تعتاض بالجهل عرفانا

فيا نعمة للحرب باركت أنعماً   لسلم جدير أن يعمر دنيانا
ودون الرضى أن يسلم الجسم وحده   إذا المرء لم يسلم ضميراً ووجدانا
نعيم لعمرى قد فقدناه إذ غدت   بقاع الثرى والماء والجو ميدانا
نعيم فقدناه ولكن إلى مدى   فبالحرب نستبقى مع السلم نعمانا
ودونك فلتغرس سياجاً يحوطه   من الشر إن أنشأت للخير بستانا
نعيم لعمرى جلستى بين صبيتى   أحادث أزهاراً وأنشق ريحانا
وأدنى إلى النعمى يقينىَ أننى   سألقى غداً هذا الجميع كما كانا
فلا سلم حتى يعرف المرء أنه   يرد إذا ما شاء ختلاً وعدوانا
أيا خضرة الزرع النديّ تألقى   لهيباً وكونى يا شجيرات نيرانا
إذا ما عدا عادٍ عليك فإنما   تعود القوى حسناً عليك وإحسانا
كذلك نعمى السلم يُحمد غبّها   تذكُّرها شوقاً إليها وتحنانا
إذا صوح الروض النضير ذممته   فهلا حمدت الروض إذ كان ريانا

ولولا انصراف النفس عن خُدَع المنى
لكان نعيماً أن نصادق أعدانا

فتوسيع آفاق المحبة مطلق   من النفس أحقاداً تسوء وأضغانا
أسفت على الانسان ليس بقادر   على الحب إلا أن يعادىَ إنسانا
فقدنا نعيم السلم من طول حرصنا   عليه وحبًّا أن نوسع دنيانا
متى نستعده نستعده وحكمة   فنعطىَ كلاً مثلما كان أعطانا
وفى القصد إبقاء على كل نعمة   فلست بمعطئ الود غير الذى صانا
أمِنَّا فساوينا الأحباء بالعدى   فيا ليتنا ننسى العدو وينسانا
حليفتنا، مدى اليمين وجدّدى   مواثق قد ضمتك أمس وإيانا
صوالحنا فى الحرب والسلم قاربت   عقولاً وأدنى حافز الحب وجدانا
ألست التى أخلاقها جُلُّ مجدها   وما أجمل الأخلاق للملك بنيانا
ونحن بنى البردىّ أقلامنا جرت   وما كان فى دنيا الكتابة إلا انا
سننا العهود والمواثيق سنة   وما كان أولانا بذاك وأحرانا
فنحن بنى الشرق المضىء بنوره   طلعنا على الدنيا يقيناً وإيمانا
ولن يخفر الشرقىّ عهداً وذمة   وقد خلق الشرقى للناس أديانا

عبد اللطيف النشار

سلميون محاربون (*)

للأستاذ حسين الظريفى

رعا الله فتيان البلاد فإنهم   نسور هبوبٍ، أو ليوث وثوب
وأنهمو لا ينثنون عن المدى   وليسوا بهيّابين كل هيوب
إذا دخلوا الهيجاء يوم كريهة   فهم بين طعّان وبين ضَروب
وقاذف نار من حديد كأنها   رجامُ سماء من بنات شَعوب
يطير بجنح الطائرات إلى المدى   بكل طلوع، أو بكل غروب
ويركب متن السائرات، وما له   بها من ونى فى جَيْئَةٍ وذُهوب
مصفحة الأطراف مضبورة القَرا   تمج لهيباً موصلاً بلهيب
وليس بهم إن أوجب السِلم نفسَه   سوى كل داعٍ بينهم ومجيب
يحيّون بالريحان كل مسالمٍ   بخالص ودٍّ لم يكن بمشوب
وما فيهمُ إلا أخو كل برّةٍ   وكل طليق الراحتين وهوب
لقد كتبوا تاريخهم بدمائهم   على كل يومٍ بالجهاد عصيب
صحائف نصرٍ بالدماء خضيبةً   وراء حروبٍ أوصلت بحروب
وساروا على أشلائهم لرجائهم   ففازوا بنصرٍ من لدنه قريب
هم النبع لطفاً والحجارة شدةً   ونعجز أن نأتى لهم بضريب

حسين الظريفى

(*) قطعة من رواية «الفداء» للشاعر: قيد التأليف



مذهب الشك قبل ديكارت

وردت كلمة للأستاذ (السيد يعقوب بكر) فى العدد (٤٦٣) من الرسالة يقارن فيها بين ديكارت فى قوله : « أنا أشك فأنا أفكر فأنا موجود » وابن يعيش فى كلمة له : « إنك إذا قلتُ : عدمتنى ، فمعناه علمتنى غير موجود ، لأنك إذا علمت كنت موجوداً وصحته على الاستمارة »

وقد أورد ابن يعيش هذه الكلمة فى شرحه على مفصل الزمخشرى فى قواعد اللغة العربية — أوردها عرضاً وهو يناقش تركيباً من حيث معناه ، ثم تركه ومضى فيما يعنيه من شرح القضايا الأخرى

فابن يعيش لم يكشف مذهباً فلسفيا ، بل لم يجل بفكره أن يقف عند هذه القضية قليلاً ولا كثيراً ، فكيف ينتظر منه أن يسايرها إلى غاياتها ويتخذها أساساً لمنهج فلسفى ؟

فليس الفرق أن هذا لم يصغ مع أنه السابق وذاك صاغ مع أنه اللاحق ؛ ولكن الفرق هو أن ابن يعيش يناقش تركيباً عربياً من جيث معناه ثم يتركه إلى غيره ؛ وديكارت درس طويلاً مختلف المذاهب الفلسفية التى تقدمته فرأى الفلاسفة عاجزين عن حل ما تصدوا لحله من المشاكل العقلية فتركهم يائساً « ألا يطفئ غلته من جداولهم » . ولجأ إلى الشك بعد أن لج به اليأس ، فشك فى كل رأى وعقيدة فى طريقي المعرفة : العقل والحواس ، حتى لشك فى وجوده فإذا هو مضطر أن يعترف بحقيقة لا شك فيها وهى أنه يشك أى يفكر فهو لا بد أن يكون موجوداً ، فوضع قاعدته : « أنا أفكر فأنا موجود » وهو لم يثبت بذلك وجود جسمه ولا نفسه بل ذاته المفكرة

ثم مضى فى تفكيره على هذا الأسلوب حتى شاد فلسفة رفيعة تضىء الطريق لأصدقائها وأعدائها على السواء .

إن كان أحد قد سبق ديكارت بشىء من فلسفته — فيما أعلم — فليس ابن يعيش الذى عاش فى القرن الثالث عشر الميلادى متقدماً نحو أربعة قرون على ديكارت الذى عاش فى النصف الأول من القرن السابع عشر (١٥٩٦ـ١٦٥٠) بل فيلسوف آخر عاش فى القرون الوسطى الأوربية فى عصرها الأول الذى يسمى فى تاريخ الفلسفة « عصر آباء الكنيسة Patristic Period »

وقد سبق ديكارت بأكثر من اثنى عشر قرناً ، وهو القديس « أورليوس أوغسطين Aureluis Augustinus » فيلسوف المسيحية . وقد ولد عام ٣٥٣م فى « تجستي Tagaste » فى شمالى أفريقية لأب وثنى وأم مسيحية ملؤها الإخلاص والحماسة لدينها فنشأ وثنياً على ملة أبيه ، ثم اعتنق المسيحية فى الرابعة والثلاثين من عمره ، فصار فارسها الأوحد الذى يناضل عنها بكل ما أوتى من قوة وبراعة ؛ ورأى فيه المسيحيون إمامهم الذى إليه يرجعون فى مشاكلهم فلا يذكر اسمه فى مجال خلافى حتى ينحسم الخلاف فى رضا واستسلام فهو الفيصل الذى لا معقب له .

قرر أوغسطين — وهو يفصل رأيه فى المعرفة — أنه إذا جاز للانسان أن يرتاب فيما تمده به الحواس من معلومات فلا يجوز له الريب فيما تزوده به العقل ؛ لأنه حق ثابت ، إذ الشك لا يمتد إلى شعور الإنسان بإحساساته الباطنة ، كما أن الشك فى الإحساسات الخارجية يتضمن الاعتراف بوجود ذات تشك ، لأنى إذا كنت أشك ، فإنى أعلم بشكى أني موجود ؛ فالشك إذن يتضمن الاعتراف بوجود المفكر من غير شك ولا خطإ ، فإذا تشككت فى كل شىء ، فلن أخطئ إذ لا بد أن يكون المخطئ موجوداً .

وهكذا يمضى الفيلسوف فى فلسفته فيثبت وجود الله وقدرة العقل على تحصيل المعرفة التى مصدرها الله ويبين الكيفية التى خلق الله بها العالم ، ويفصل رأيه فى الروح والمادة والأخلاق وطريق الاتحاد بالله والسعادة الأخروية . وقد توفى عام ٤٣٠ م .

ومن مفكرينا المسلمين اثنان شكا كديكارت فى كل شىء وإن لم ينتهيا إلى ما انتهى إليه من خلق فلسفة شاملة تفيض باليقين والإيمان من طريق العقل : أحدهما فيلسوف المعرة أبو العلاء الذى انتهت به قسوة الحياة وآلامها الملحة إلى الشك بالتشاؤم فلم يبق له إلا الإيمان بالألم كما يرى ذلك من قرأ له لزومياته ورسائله إلى داعى الدعاة ورسالة الغفران . وثانيهما حجة الإسلام الإمام الغزالى الذى انتهى من الشك إلى الإغراق فى التصوف كما يرى ذلك من قرأ كتابه « المنقذ من الضلال » . ومما هو جدير بالالتفات هنا تشابه القديس أوغسطين والإمام الغزالى

فى كثير من آرائهما وحياتهما ومنزلتهما فى الدين ، فأوغسطين فى المسيحية هو الغزالى فى الاسلام ، وكل منهما اضطرته ظروفه المحيطة به ، والتى كانت تهدد دينه أن ينبرى ليدافع عنه أعداءه فوفق فى دفاعه كل توفيق

(سمالوط) **محمد خليفة التونسى**

من محام شرعى الى قاض شرعى

حضرة الأستاذ على الطنطاوى المحترم

السلام عليكم ورحمة الله ... جاء فى مذكراتكم المنشورة فى العدد (٤٦٢) من (الرسالة) المجيدة ما نصه :

« ولا بد من الرجوع إلى الحكم بالشهادات التى قد يعلم القاضى أنها شهادات زور ، وأن الشهود فساق لا عدالة لهم ، ولا تقبل من مثلهم شهادة ، وكانت القرائن تقطع بكذبها — والقرائن والأمارات من أسباب الحكم — كما بين ذلك ابن قيم المدرسة الجوزيه فى كتابه الجليل « أعلام الموقعين » ؛ ولكن لا سبيل إلى الأخذ بها إلا أن تنظر « وزارة العدل » فى (دمشق) فى الاقتراح الذى رفعته إليها فى هذا الموضوع ، وتتخذه أساساً لاصلاح شامل يخلص الناس من شهود الزور ... فكيف يهدأ بال من يغلب على ظنه ؛ أو يعلم فساد البينة ، ثم يضطرون إلى الحكم بها »

ألا فليهدأ الأستاذ بالاً ، وليطمئن قلباً ، وليقر عيناً ... فليس فى الأرض — أو على الأقل — ليس فى بلد من بلاد الاسلام قانون شرعى أو وضعى يجبر القاضى على الحكم ببينة يعلم أنها زور ، لا سيما إذا كانت القرائن تقطع بكذبها ، بل حتى إذا كانت القرائن توجب الشك فيها ، أو تجبره على قبول شهادات الفساق الذين لا يقبل من مثلهم شهادة . ويكفى فى تعليل إبطال هذه الشهادات وعدم العمل بها أن يقال : « لم تطمئن المحكمة لهذه الشهادات فردتها » ؛ وإن استؤنف هذا الحكم فسيصدق (مئة فى المئة) ، إذ لا تملك محكمة الاستئناف القوة على جبر القاضى بالعمل بما يراه باطلاً

وانظر — رحمك الله — كم بالغ الفقهاء فى وجوب تحرى القاضى وبحثه عن أحوال الشهود ، حتى لو ظهر كذبهم بعد التزكية لم يعمل بشهادتهم . فهذا من جهة الشرع ؛ وأما القوانين الوضعية ، فقد جعلت تقدير الشهادات عائداً لضمير القاضى وألغت التزكية — وهى بحالها الحاضرة جديرة بالالغاء — إذن ، لا يتوقف التخلص من شهادات الزور على نظر وزارة العدل فى الاقتراح الذى رفعتموه إليها للأخذ بالقرائن والأمارات فى هذا الموضوع

إنما الأخذ بالقرينة والأمارة موضعه فيما تنعدم فيه الشهادة فيكون الحق عرضة للضياع إذا لم يؤخذ بالقرينة والأمارة

ولو أن الأمر على ما ذكر الأستاذ من أن القاضى مضطر للحكم بشهادات يعلم أنها زور ، لكان هذا هو الظلم الذى ليس بعده ظلم ، ولما جاز للمسلمين أن يسكتوا عنه لحظة واحدة ، حتى تبدل الأرض غير الأرض ... وكيف يكون كذلك وهم — فى محاكمهم الشرعية — يعملون بشريعة الاسلام . وهى وهذا ضدان مفترقان ؟

نعم ، بعض قوانيننا التى يجرى العمل بها فى المحاكم الشرعية — فيما سوى مصر — تحتاج إلى نظر وتعديل ، ولكن ليس فيها هذا الظلم

وتعقيب آخر : قلتم فى آخر مقالكم : « وقد فسروا حديث القاضى والقاضيين أن القاضيين اللذين فى النارهما... الخ » ؛ وهذا ليس تفسيراً للحديث ، وإنما هو من صلب الحديث بلفظ آخر ؛ ولفظه (فى الجامع الصغير) : « قاضيان فى النار ، وقاض فى الجنة : قاض عرف الحق فقضى به ، فهو فى الجنة ؛ وقاض عرف الحق فجار متعمداً ، أو قضى بغير علم ، فهما فى النار »

(اللد — فلسطين) **داود حمدان**

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)